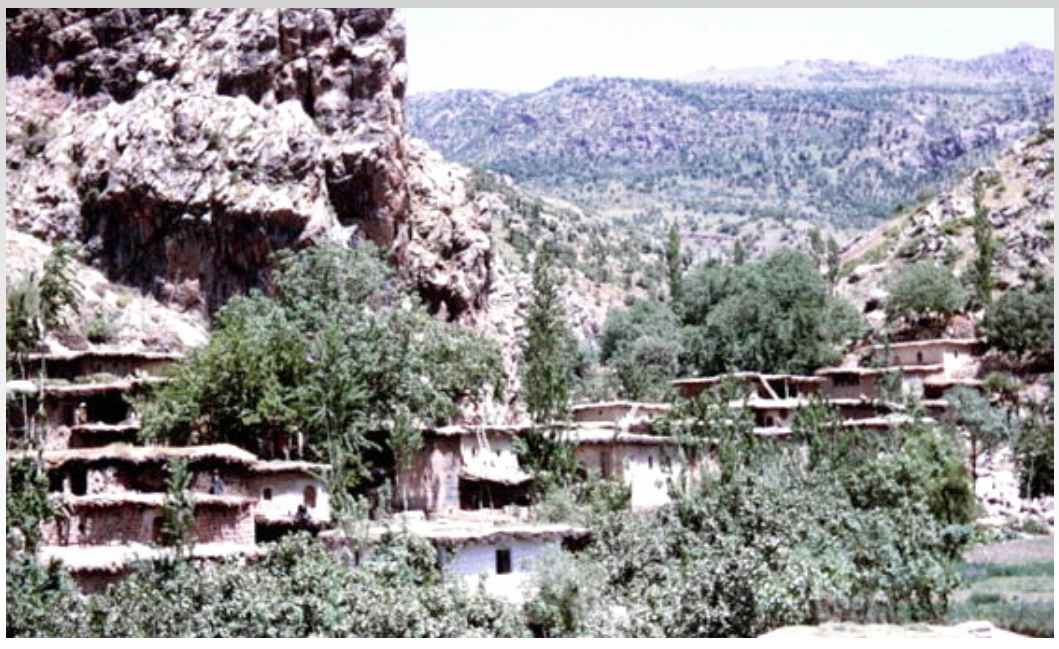

معالم المدن العراقية في رسائل نازك الملائكة

الحلقة الثالثة

اعدتها للنشر: احسان الملائكة

صلاح الدين- المصيف
الاربعاء ٣١ تموز ١٩٤٧
الى شقيقتها احسان الملائكة
عزيزتي احسان
ساعتي الان تشير الى العاشرة صباحاً وانا اجلس تحت شجرة البلوط الفخمة التي تبسط ظلها على خيمتي، وقد عدت منذ لحظات من دائرة البريد حيث سجلت رسالة اليكم وشريطاً غير مغسول، أرسلته اليك لتوصليه الى المصور فيغسله وتطلعوا على مناظر صلاح الدين وخيامنا.

انثيالات حديقة المسبح

في مساء الاثنين خرجت بصحبة زميلاتي وجلنا في انحاء الجبل. وبعد العشاء خرجنا ثانية، منذ التاسعة حتى الحادية عشرة، وقضينا هذه الفترة في حديقة المسبح الجميلة تحت ضوء القمر، المسبح مشيد على الطريقة الحديثة الحوض مطلي بلون السماء، وحوله سياج من اشجار البلوط الجافة التي تكثر في هذه المناطق وتحيط بالمسبح فسحة صخرية مجهزة بكراسي مريحة ومناضد وهناك حانوت لبيع المرطبات، ولعلك بعد هذا الوصف تتخيلين المكان مزدحماً بالسامرين! اعلمي اذن اننا جلسنا فيه امداً طويلاً، ولا مخلوق يتنفس هواءه سوانا!! ثم تركنا المسبح وقصدنا الحديقة العامة، وفيها اراجيح، وخيول خشبية تعلو وتهبط في دوران، وقد بقينا اكثر من ساعة نتأرجح تحت شعاع القمر، وفي الحادية عشرة عدنا الى المخيم

لا عباءة

انك ولا شك تستغربين هذه الحرية التي نتمتع بها هنا.. الواقع ان مصيف صلاح الدين لا يختلف عن لبنان مطلقاً، فالحياة فيه عصرية الى ابعد حد (أديبة وسنية خلعتا العباءة) منذ هبطنا صلاح الدين، ونحن لم نقابل حتى الان مخلوقة ذات عباءة أغلب الفتيات يسبحن في حوض واحد مع الرجال، وفي الجبل ساحة تنس بديعة يقصدها المصطافون من الجنسين ومؤدى الكلام ان النساء هنا يتمتعن بالحرية مثل الرجال.

النفور الى الشعر والموسيقى

اما انا فعلى العادة انفر من هذه المظاهر المدنية، وارى ان منظر جبل "سفين" من بعيد احلى الف مرة وانقى من الكازينو والمسبح وساحة التنس والفندق، وكل ما شيده الانسان لمرحه ولهوه، ولذلك الوذ دائماً بظل شجرة البلوط وحدي مع (كيتس وشيلي وبيرون) او اصغي الى موسيقى (تشايكوفسكي او ليست او بيتهوفن) آه.. ان الامر يا احسان كما يقول توفيق الحكيم: (كلما همّت روح الانسان بالتحليق والارتفاع، كبلتها اكاذيب المدنية ومظاهرها الخادعة وانزلتها الى الطين..)

على كل حال لماذا اتعب قلبي وفكري بهذه الامور؟ ان الطبيعة وحدها تكفي لرفعي من مادية الطين الى الاعالي ان معي هنا كيتس وشيلي ونيتشه وبايرون، معي عواطفي التي افخر بها، وشاعريتي التي احبها، على اني لم اكتب بيتاً واحداً من الشعر منذ وصولي الى هنا، واخوف ما اخاف ان اعود الى بغداد بخفي حنين!! ولعل السر في ذلك انني هنا مشغولة بالمشاعر عن تصوير المشاعر، مشغولة بالنشاط البدني عن النشاط العقلي، لم اعد الان الا مخلوقة تجيد تسلق الجبال كالحنقباز ولا هم لها الا مراقبة عيون الماء ومنحدرات الوديان لكني املّ ان "اصطاد" شاعريتي قريباً وارسلها اليكم في قصيدة جبلية!!

المشاعر القوية قد تصبح مرضاً

اكتب هذا والجبال الشاهقة حولي تبتسم لي وتدعوني الى ان احدثك عنها وللجبال عليّ فضل شعري لا ينكر.. لقد عبرت هذه الجبال امس في الطريق الى الفردوس الاخضر "شقلاوة" وقد امتلأت نفسي بمشاعر الى حد كدت معه اصاب بالمرض والمشاعر القوية تصبح احياناً مرضاً، كما تعلمين، خاصة بالنسبة لي عاشقة للجمال مثلي!!

جبل وقور غريب الطباع

غادرنا جبلنا الوقور صلاح الدين في الثامنة صباحاً في سيارة كبيرة، وصلاح الدين جبل غريب الشكل والطباع، وتحيط به وديان رهيبة مخيفة، والسيارة ترتقيه في اربع عشرة لفتة وقد اقامت لجان المصيف سياجاً صخرياً عند كل منحنى حفظاً للسيارات المارة، وحين تبلغ القمة الشاهقة تنبسط الارض فجأة انبساطاً كلياً، يمتد الى مساحة لا باس بها، وعلى هذه الفسحة يقوم المصيف، بشوارعه الانيقة وبيوته المنظمة وكازيناته، ومسابحه ودوائره الرسمية لكن لا تظني ان الانبساط يشبه انبساط شوارع الكرادة الشرقية، فالجبال لا تعرف الا الانحدار، وانا حين اسير من خيمتي الى خيمة رفيقاتي، اتسلق واتعب، وصلاح الدين هو الجبل الوحيد الذي يصلح لبناء مدينة صغيرة فوقه، بين مئات الجبال التي شاهدناها حينها، فاكثر تلك الجبال شاهق ضخم، إلا ان القمم ضيقة لا تنبسط، وهي كذلك منحدرة غير مستوية.

جنة ساحرة

هبطنا صلاح الدين الجبار بالسيارة طبقة طبقة كما وصفت في رسالتي السابقة، وبلغنا الوادي الجميل، وسرنا اولاً في طريق وعر مدة خمس دقائق برز لنا بعدها واد أخضر شاعري الظلال تنحدر فيه عيون الماء بقوة محدثة خريراً رائعاً هو وحده إلهام وموسيقى.. ثم بدأنا نرتقي جبلاً جديداً ونسير على حافة واد عميق آخر كانه جنة ساحرة بأشجارها الباسقة وعيونها المتدفقة وقراها الجبلية المنحدرة ونسيمها البليل الى حد لا تستطيعين تصوره ما دمت في بغداد تعيشين جحيم الحر والغبار ولبثنا نسير ساعة بين عشرات الجبال الملونة، ندور مرة حول جبل احمر ، ونرتقي مرة جبلاً اخضر، ونصل فجأة الى واد صخري اجرد، يعقبه واد ذي ظلال وكروم وعيون، يا له طريقاً سحرياً مذهلاً، لونته احساساتي وعواطفي بالوان غريبة واجمع كل من معنا على ان ليس في لبنان مناظر كهذه مطلقاً.

غار (سها)

ومررنا فجأة بغار جبلي عظيم اطلقنا عليه اسم (سسها) اختي، ثم وجدنا انفسنا في قمة جبل شاهق، وتحتنا واد عميق ذو اشجار ساحرة وهتفت "أميمة" ببرودها المعهود: وادي شقلاوة!! ورحنا نهبط الجبال على الطريق المتعرج الطويل واذا بنا فجأة داخل شقلاوة ورفعت رأسي متلهفة فاذا هي اجمل مدينة يمكن ان تتخيلها احلامي، مدينة وليست كالمدن فردوس اخضر رائع ضيق، تحيط مدخله جبال اربعة: احمر واسود واصفر واخضر، خرير المياه فيها ابدي سرمدي!!

ورام قلبي يخفق

عند هذا انتقلت الى حالة شعورية ملتهبة عنيفة، وراح قلبي يخفق بحدة ويكاد يطير بين اشجار الجوز، وغامت عيناي بنشوة شعرية راعشة، وكدت افقد شعوري بذاتي وانتقل الى غيبوبة فجأة نزلنا الشارع الرئيسي في المدينة وصاح الكل: "باردة! باردة:" وقابلتنا رطوبة غريبة لا اعرف كيف اصفها، وسألنا: أشتاء هنا أم صيف؟؟ وهبت صديقاتي اميمة وسنية واديبة بسرعة الى العمل!!

هل تعلمين ماذا فعلن؟؟ جئن ببطانية حمراء لففن بها جسمي، وشددن رباطاً ابيض حول رقبتي، وعلى رأسي تحت القبعة وضعن (ايشارب) وردي، وعبثاً حاولت التملص، اما الزميلات فقد بقين بملابس الصيف!! ماذا تريد امي اكثر من هذا؟ انها قد ارسلت معي "شرطة للحراسة" كما ترين.

سر شقلاوة

السر في برودة شقلاوة انها تقع في عمق واد منحدر بين جبلين طويلين جداً وشاهقين جداً، وتنحدر من الجبلين على طولهما مياه معدنية في برودة الثلج تحدث خريراً فاتناً يخلق في المدينة جواً موسيقياً سماوياً، وفي منتصف المدينة واد اشد عمقاً وانحداراً وكله صخور كبيرة، تنحدر اليه المياه الجبلية جميعها ولولا هذا الوادي لغرقت شقلاوة كل شتاء بمياه الثلوج.

ولكن هل شقلاوة مدينة، هذا ما لا أُقره أنا، فهي ليست الا احراشاً من اشجار الفاكهة والصفصاف، مع ان فيها ثلاثة فنادق، وبعض بيوت متفرقة لا كيان لها اما الشوارع فهي ممرات جبلية ضيقة بين اشجار باسقة مستقيمة السيقان وكان مدير الناحية في انتظارنا، فاخذنا الى بيته وجلسنا في الحديقة تحت عريشة من شجر البلوط يسمونها: (كبرة) يتوسطها حوض كبير متصل بماء العيون شأن سائر المياه في البلدة ومدت "أديبة" قدمها في الحوض فجمدت، وبسبب ذلك ما زالت حتى الان متعبة تشكو من معدتها أما انا فقد احتفظت بوصايا والدتي، ولم اجس الماء الا بكفي!!

تعلمت الكردية

وفي شقلاوة تعلمت الكردية، فكل كلام يوجه اليّ، أرد عليه بشجاعة قائلة "والله كردي نازاني" أي انني لا اعرف الكردية.

وتناولنا الغداء على الحوض، واغرقتنا شقلاوة بفاكهتها الرائعة انني في الواقع لم اشاهد بعد خوخاً ولا تيناً بحجم الرمان، وقد شاهدتهما هنا في شقلاوة اما التفاح والعرموط فمن المدهش انهما يقطران ماء ويذوبان قبل ان يصلا الى الفم!!

اربعة جبال

تناولنا الشاي في فندق "خانزاد" وهو يقع على جبل عال يشرف على وادي شقلاوة كله، ومن هناك التقطت عدة صور لمناظر شقلاوة، وعدنا الى صلاح الدين فوصلناه في اوائل الليل، وكان الطريق رائعاً وقت الغروب وقد قابلتنا اربعة جبال عالية مترابطة اطلقنا عليها اسماء: جبل احسان، وجبل هند، وجبل وديعة، وهلم جرا، كاسمينا ثلاثة وديان باسم :وادي لبنى، ووادي سعاد، ووادي سميرة، واملي ان تحضروا الى هذه المناطق في المستقبل لتزوروا جبالكم ووديانكم!!

سنعود الى بغداد عن طريق كركوك يوم ١١ آب، انا واميمة واديبة وسنية وعمتي بتول وماركريت وروز اننا قد نبقى يومين في كركوك او الموصل أي اننا سنعود قبل ١٥ آب وسابرق اليكم لانبئكم بموعد وصولي..

نازك

آمل ان (اصطاد) شاعريتي قريباً وارسلها اليكم في قصيدة جبلية

الوذ دائما بظل شجرة البلوط وحدي مع كيتس وشيلي وبيرون واصغي الى موسيقى تشايكوفسكي او ليست او بتهوفن

الواقع ان مصيف صلاح الدين لا يختلف عن لبنان مطلقاً فالحياة فيه عصرية الى ابعد حد.. واغلب الفتيات يسبحن في حوض واحد مع الرجال

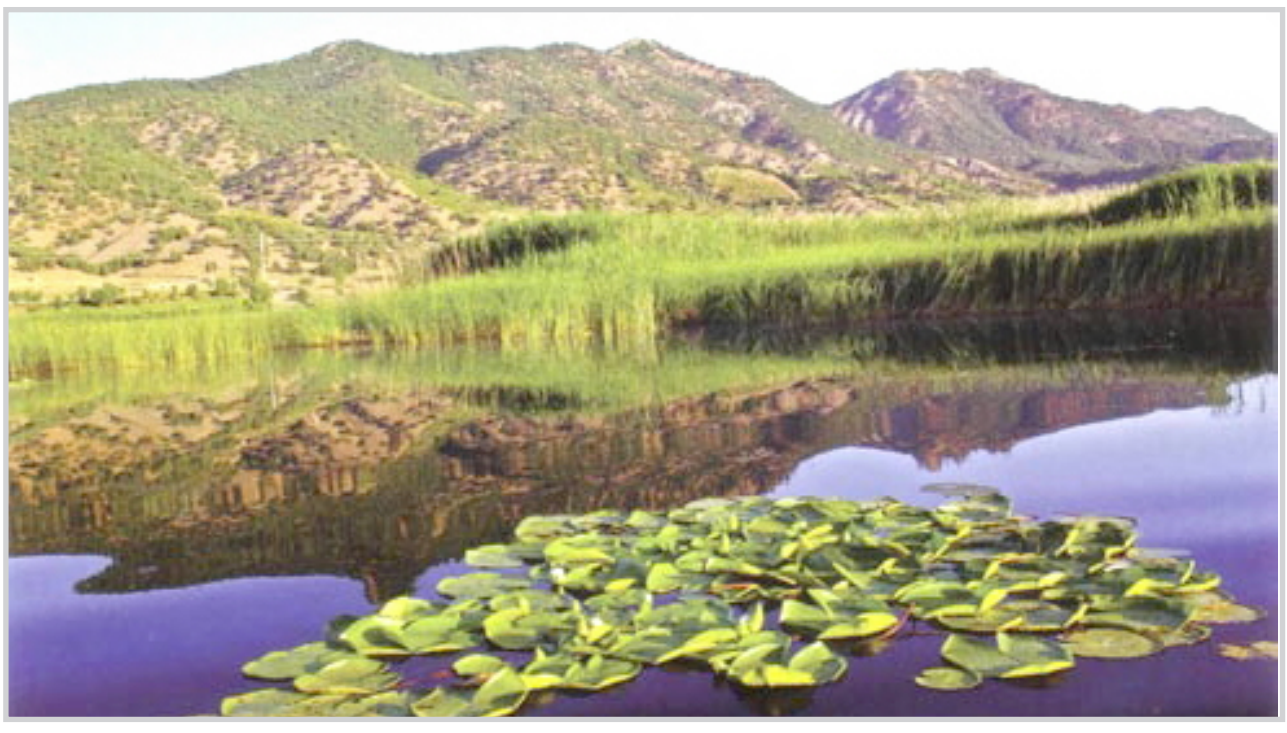

جئن ببطانية حمراء لففن بها جسمي وعلى رأسي تحت القبعة وضعن (ايشارب) وردي.. وعبثاً حاولت التملص